المحاضرة رقم -٠٨-

بعض الأعلام المحدثين

بيير بورديو

هو عالم اجتماع فرنسي، وأحد أبرز الأعلام الفكرية في القرن العشرين يحتل مكانة مميزة في حقل الدراسات الإنسانية ترجمت أعماله منطلقات وأسس علم الاجتماع نفسه بل شهد علم الاجتماع على يديه إبداعا علميا وتجديدا فكريا حقيقيا في المضامين والمصطلحات والأهداف.

١-مواقف بورديو من الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية والصراع الإيديولوجي

ويتجلى ذلك فيما يلي:

- في الليبرالية الجديدة: بحيث تضع الدولة في مكان ملغز ترى منه البشر ولا تراهم، بمعنى أن الليبرالية تضع سياسات اقتصادية وإعلامية تفقر البشر في الاتجاهات جميعا ولا تراهم وهم يتفككون، أي تتبنى سياسة التفقير على شعوب العالم وخاصة العالم المتخلف المستهدف لتقوم بوضعه في موضع الغموض واللبس، ومنه إلى تحقيق سياستها لصالحها دون الأخذ بعين الاعتبار الطرف الآخر.

وبناء على هذا فالدولة وفق الرؤية البورديوية عبارة عن جهاز قمع وتنظيم يحتكر أدوات القمع وقوانين الصراع بين الفئات الاجتماعية، وهذا الاحتكار يسميه "بورديو" رأسمالا وهوفي العمل يعمل مثلما يعمل الرأسمال الاقتصادي في أي حقل من الحقول[١].

وفي هذا الصدد يقول <<ومن هنا السؤال الذي يطرح نفسه ألا يعود تمكن الدولة من فرض نفسها بمثل هذه السهولة مازالت استبعد هنا مرجعيته "هيوم" واقعه كونها قادرة على فرض البنى المعرفية وعن مساهمة الدولة في إنتاج هذه البنى هي نفسها>>، اذ تعتبر وظيفة الدولة في سوسيولوجيا "بورديو" استراتيجية ويحددها بمجموع حقول قوة، حيث تأخذ

[١] بورديو بيير: بؤس العالم، ترجمة محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر، ج١، ٢٠١٠، ص١١٦

الصراعات التي تجعل رهانها احتكار العنف الرمزي المشروع وإنتاج نظام مشترك، وهذا الأخير هو مجموع مشترك لمعايير قهرية، ومنه لتجسيد الدولة الطبقية كقاعدة عامة دولة الطبقة الأقوى التي تحتفظ بالسيطرة الاقتصادية وبفضلها تصبح المسيطرة سياسيا وعندئذ تعرف الدولة كاحتكار للعنف الشرعي أو كلجنة تنفيذية للطبقة القيادية[٢].

يقرر "بورديو" بوجود الاغتراب في المجتمع الرأسمالي متكئا على مقولات تكشف عن العنصرية والعنف والهوية المأزومة، هذا الاغتراب الذي وجد طريقة إلى العلوم الاجتماعية عن طريق "كارل ماركس" اذي يرى الاغتراب هو عملية اجتماعية وفي نفس الوقت حالة نفسية تنتج من خلال المشاعر الكامنة للعزلة والعجز.

تنتج اللبرالية الجديدة وبشكل موسع شكلا جديدا من ثقافة التفقير بامتياز محصنة بالسلطة الإعلامية المختلفة وبالتالي تكون ثقافتها إلا عبادة للاستهلاك.

وعليه يقر "بورديو" بأن المواقف الأيديولوجية التي يتخذها أصحاب السيادة هي استراتيجيات لإعادة الإنتاج داخل الطبقة وخارجها من أجل تقوية السيادة الطبقية.

مفهوم علم الاجتماع في فكر بيير بورديو

حدد "بيير بورديو" في كتابه "مهنة علم الاجتماع" وطرح الأسئلة الآتية ليجيب عنها

- ما هو علم الاجتماع؟
- لمن ينسب علم الاجتماع؟
- ما هي الأعمال الي يقوم بها علماء الاجتماع؟
- على ماذا يعمل علماء الاجتماع؟

ويجيب "بورديو" أن علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للعلاقات الاجتماعية والأفعال والمتمثلات التي من خلالها يشكل المجتمع ويضيف "بورديو" أن هذا الحقل المعرفي يركز على فهم الكيفية التي يسير بها المجتمع، ويركز على الاجتماع حسبه على العلاقات بين الأفراد

[٢] بورديو بيير: عن الدولة دروس في الكوليج دوفرانس (١٩٨٩-١٩٩٢)، ترجمة مروة نصير، المركز العربي للدراسات السياسية دس، ص٢٨٥

والمجتمع، مسار الحياة، الأفعال الاجتماعية كما على العمل والعلم والحركات الاجتماعية، المجموعات الاجتماعية، مثل العائلات والشبكات والأصدقاء والتنظيمات مثل المدارس والمؤسسات أو المجتمعات بأكملها من خلال جوانبها الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية والسياسية والاقتصادية[٣].

٣-مفهوم السوسيولوجيا عنده

يرى أن موضوع السوسيولوجيا هو دراسة حقول التنافس والصراع والهيمنة ليس على صعيد الطبقات فقط بل حتى في المجال العلمي نفسه ويعني أنه ينطلق من سوسيولوجيا نقدية صراعية أو مقاربة صراعية ومن ناحية أخرى يشير إلى ضرورة حياد عالم الاجتماع عندما يبحث في مشكلة مجتمعية ما قوامها التنافس والصراع والهيمنة بأن يكون واعيا بموقعه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ومن ثم قالسوسيولوجيا الحقيقية هي المضمر والمسكوت عنه[٤].

وعليه تتميز السوسيولوجيا عند "بيير بورديو" بالطابع العلمي والمنطقي والابتعاد عما هو سياسي وإيديولوجي وهذا ما يدل دعوته إلى تأسيس سوسيولوجيا علمية، وفي هذا الصدد يقول <<لا يمكن لعلم الاجتماع أن يقوم إلا اذا رفض الطلب الاجتماعي الذي يلتمس وسائل لإضفاء المشروعية وأدوات للتحريض وعالم الاجتماع ليس له مهمة يسخر لها ولا غاية انتداب من أجلها إلا التي يفرضها عليه منطق بحثه>>

٤-نظرية بورديو

أولا: المنهجية: يطرح "بورديو" سؤالا منهجيا: كيف تتجدد البنيات؟ وكيف تعيد إنتاجها؟

وجد أطروحتين هما الظواهرية، والتي تركز على الانمحاء الجذري للفرد، وكلاهما كانتا بلا جدوى.

ثانيا: التصورات النظرية: إجابة "بورديو" تدور حول ثلاثة تصورات

---

[٣] بورديو بيير: التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجي، ط١، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، ٢٠٠٤، ص١٤

[٤] بورديو بيير: الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٦ ص٢٦

١- نسق المواقف والعلاقات:

الموضوع الاجتماعي في هذا التصور هو الموضوع الذي يكشف عن مجموعة العلاقات الداخلية في البنية، والهدف هو إظهار منطق النسق من خلال ثلاث عمليات:

أ- إسقاط بعض والقيام بعملية استكشاف متعددة

ب- تعليم النسق

ت- تطور النسق

ومن هنا يصل "بورديو" إلى استعمال مقولة الحقل الاجتماعي الذي ينتظم بداخله كل أنساق المواقف والتفاعلات.

٢- **الهابيتوس:** يعرفه "بورديو" بأنه نسق الاستعدادات المكتسبة وتصورات الادراك والتقويم والفعل التي طبعا المحيط في لحظة محددة وموقع خاص، وهي موجة سلوكيات الأفراد اعتمادا على الأنا The ego وهو يتمثل في استعدادات الفرد وقدرته.

٣- **إعادة الإنتاج:** حاول "بورديو" تحليل جميع أفعال إعادة الإنتاج من خلال دراسته للنسق المدرسي ووظيفته[٥].

ثالثا: الصراع الطبقي: هناك صراع طبقي مادي ويتضح الرأسمال الاقتصادي.

- هناك رأسمال آخر يسميه بالرأسمال الرمزي، وهو ذاته الرأسمال الثقافي وهذا الصراع هو الذي يكشف عن الهابيتوس أي طبقة ويجعل الصراع الاجتماعي قائما على أساس استهلاك الثروات المادية والرمزية.
- تنوع رؤوس الأموال بحيث نجد رأسمال ثقافي أعلى من رأسمال اقتصادي لدى البعض كالأطباء والمهندسين ورأسمال مدرسي، ورأسمال الجسد كالجمال والجاذبية ورأسمال ناجم عن قوة العلاقات الاجتماعية وغيرها.
- **الحقل الاجتماعي نموذج للدراسة**

عندما يستعمل "بورديو" الحقل الاجتماعي في الدراسة فهو ينطلق من كونه يشمل عملاء، مشرعين، استقلالية، كما وجد تعسفا رمزيا تشرعه القوانين المدرسية التي في ظاهرها تبدو العدالة وتكافؤ الفرص، إلا أن هناك تعسفا مثل أن تجد أن التلميذ الغني يختزن في ذاكرته رصيدا لغويا هائلا مقارنة بالتلميذ الفقير وحين يتقدمان لاختبار اللغة نجد أن فرصة الغني في النجاح أكبر من الفقير.

---

[٥] عبد العزيز بن علي الغريب: نظريات علم الاجتماع، إعداد مساعد إبراهيم الطيار، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٤، ص٩٥

٥-الانتقادات الموجهة لفلسفة بيير بورديو

١- تصور المجتمع حسب "بورديو" تجاوزه الزمن:

يرى منتقده أنه ما يزال متشبثا بالنظرة التقليدية للبنية الاجتماعية المقسمة في شكل طبقات اجتماعية متصارعة حتى وإن أضاف إلى الصراع القائم على رهانات مادية صراعات أخرى تتعلق لمواكبة الرأسمال الرمزي، فهذا لن يغير من الحكم، وهكذا فإن مقاربته هي محل نقد ثلاثي.

- حسب بعض علماء الاجتماع فإن مفهوم الطبقة الاجتماعية غير مناسب في المجتمعات المعاصرة[٦].وفي المقابل الطبقة الاجتماعية فإن العديد من المؤلفين يفضلون استعمال مفهوم الشريحة فيرون أن استعماله يعني أولا القيام بتصنيف الأفراد الذين يشكلونها حسب معيار معين والذي يسمح بترتيبهم (إن الشريحة بهذا المعنى هي عبارة عن فئة بسيطته بمعنى تجمع إحصائي) كما يدل كذلك على رفض الحديث عن المجتمع في شكل طبقات وأنه توجد عدة جماعات اجتماعية متدرجة حسب مقاييس متنوعة، المداخيل، الشهادات، السمعة، السلطة...

٢- **صراع الطبقات مفهوم متقادم**: وهو موقف "ألان تورين" الذي يعتبر كممثل لعلم الاجتماع الفعل وهذا موقف طوره عام ١٩٦٩م في كتابه "المجتمع ما بعد الصناعي" وإن استدلاله في ذلك بقوم على ظهور المجتمع ما بعد الصناعي وهو مجتمع له خصائص مختلفة عن خصائص المجتمع الصناعي على الإنتاج المادي وعلى فكرة التقدم وعلى أخلاقيات العمل، والمجتمع الصناعي تخترقه حركة اجتماعية مركزية الحركة العمالية المتعارضة مع البورجوازية بينما المجتمع ما بعد الصناعي فهو يتميز بسيطرة الإنتاج اللامادي مثل الإعلام والاتصال وبأخلاق الإبداع واللذة وبغياب صراع مركزي كالصراع بين البروليتاريا والبرجوازية.

- إن الانتقال من المجتمع الصناعي إلى الصناعي إلى مجتمع ما بعد الصناعي يترجم من خلال تغير على مستوى الصراعات سواء تلك المتعلقة بالرهانات أو بالفاعلين[٧].

لذا يمكن حصر الفاعلين في طبقتين متعارضين، وعكس ذلك فقد ظهرت العديد من الحركات الاجتماعية، حيث يمكن أن نعرفها على أنها مجموعة من الأفعال والسلوكيات والتي

---

[٦]فيليب جونز: النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة محمد ياسر الخواجة، ط١، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠، ص٢١٥

[٧]محمد بودايني: الكافي في الفلسفة، ط٣، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٢، ص٩٥

تعيد النظر بصفة جزئية أو شاملة في النظام الاجتماعي وتحاول تغييره وهو حال الحركات النسوية والاكولوجية والطلابية، الحركات الاجتماعية خاصة التي تكون قبل الفصيلة المسماة طبقة متوسطة مهندسون، تقنيون وأساتذة.

٣- الجماعات الاجتماعية لها هوية ولا تعرف أو تحدد فقط في مقابلتها بالطبقات المهيمنة خلافا لما يؤكده "بورديو" فإن علاقات الهيمنة لا تكفي للكشف عن الفوارق الاجتماعية والثقافية وهكذا فإن داخل الطبقات الشعبية يمكن أن نميز سمات ثقافية أصلية، والطبقة العمالية التقليدية بها شعور جماعي قائم على علاقات جوارية مكثفة وعلى التعاون والتضامن.

٤- تحليل التغيير الاجتماعي مغيب من علم اجتماع "بورديو" كما يتجلى ذلك في تصوره لدور المدرسة.

- نظرية "بورديو" ستاتيكية وتهمل التاريخ: إن علم اجتماع "بيير بورديو" متهم بعدم إعطاء تحليل مناسب للتغيير الاجتماعي وعلى أنه مركز جدا على تحليل آليات واستراتيجيات إعادة الإنتاج، وأن الأطروحات المتعلقة بالمدرسة التي تعيد الإنتاج تم نقدها نظرا لطابعها الجامد واللاتاريخي.

كما أن هذا التصور كان موضوعا لنقد شديد من جهة أنه لا يمكن الاتفاق على أن المحافظة وإعادة الإنتاج مسألة حتمية لجهة كونها الهدف الوحيد الذي يمكن المدرسة أن تلعبه بل أن التغيير والتجديد من أدوارها أيضا، ولقد أثبت التاريخ أن للمدرسة كذلك طاقات إنتاجية لأن تعميم التعليم الابتدائي ساهم لا محالة في خلق تجانس ثقافي في فرنسا ونشر اللغة[٨].

[٨] جان فرانسوا دورتيه، فيليب كابان: علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة إياس حسن، ط١، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠، ص٨٠

ثانيا: بعض المحدثين

جون بودان

١-الاتجاه المعرفي لجون بودان

كان تطلعه قد ركز عند أهمية البحث في الإشكالية السياسية الجديدة التي تفرضها العلاقات الراهنة، تلك التي اعتمدها "بودان" وجعل منها محلا معرفيا للخروج من المقولات التقليدية ومن هذا وضع أمامه هدفين أساسي تمثلا في محاولة تخطي المقالات التي طرحها "أرسطو" و"ميكيافيلي" في علم السياسة وبالقدر الذي تتبدى فيه نزعة "أرسطو"، كذلك النقد حول مقولات "ميكيافيلي" ناعيا عليه توجيه المعرفة السياسية نحو مصلحة الطغاة والوعي المنقوص بالقوانين العامة، والبعد عن أبجديات السياسة وفرضياتها الأساسية مركزا جهوده في محاولة الربط بين الاتجاه الأخلاقي والنزعة الدينية.

كما أكد على العلاقة القائمة بين الدولة والمواطن في وحدة الهدف وهو الوصول إلى الخير المطلق[٩] كذلك كان تأكيده على العمل السياسي كان يقوم على أهمية الاعلاء من الممارسة بوصفها الطريق الأكيد نحو تركيز معالم المعرفة مجددا موجهاتها عبر التأكيد على التاريخ والذي يقوم حسب رأيه من خلال المزاوجة بين القانون والسياسة.

٢-المرتكزات الأساسية لفكر جون بودان

يقوم فكره على فكرة التوافق بين العامة والنبلاء والغني والفقير هاتان الاشكاليتان تمثلان المنطلق المنهجي لدراسة سبب اختيار "بودان" للحكم الملكي بوصفه الأفضل[١٠] فعلى الرغم من أهمية توفير العدالة إلا أنه من الضروري الوقوف على البعض من المميزات لكل فئة، فالنبلاء لهم خصائصهم في مجال الحرب والقانون والعامة لهم القدرة لإشغال الوظائف العامة، أما على صعيد الفقير والغني، فإن الأغنياء يبحثون عن المجد فيما يسعى الفقراء من أجل الربح، وهكذا فإن ثنائية العدالة والتوافق تشكل المعيار الرئيسي لدى "بودان" في تمييزه للحكم الأفضل.

٣-منهج بودان

---

[٩] إسماعيل نوري الربيعي: في أصول السلطة والسيادة، بودان، هوبز، ستراوس، دفاتر السياسة والقانون، الجامعة الأهلية، العدد العاشر، البحرين، ٢٠١٤، ص٣٨

[10] Jean Bodin, les six livres de la république, Paris, 1983, P63

يقوم المنهج البوداني على حالة الموافقة بين العلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية وذلك من خلال إبراز العلاقات الأفقية بين ما هو إنساني وطبيعي وكذلك العلاقات العمودية المستندة إلى التاريخ العميق، مستفيدا من التراث السياسي بدءا من "أرسطو" وصولا إلى حالة التحلي والتفاعل مع التوجهات الموسوعية التي ميزت جهود المفكرين في تلك المرحلة[١١]، وهكذا كانت محاولة "بودان" قد تركزت في جال الربط بين السياسة والقانون هذا الربط الذي ساعده على التوافق بين الممارسة والفكر من أجل تحليل إشكالية السيادة تلك التي ارتبطت بالجهد المعرفي لـ"بودان" ولاسيما فيما يتعلق بطبائع الشعوب أين نجد تفسير الخصائص الطبيعية للمجتمعات وتوافق الأنظمة والمؤسسات الحاكمة لها ومدى انسجامها معها.

٤-جون بودان وأنواع السيادة

يلعب مركز الدولة الدور البالغ في تحديد معالم نوع الدولة، فالقوة التي تميز المركز تجعل من النظام الملكي بارزا بحساب قوة السيد، فيما تضيع قوة السيادة في حال بروز الأنظمة الأرستقراطية أو الديمقراطية باعتبار توزع قوة السيادة بين نخبة أرستقراطية مهيمنة تحاول التطلع نحو تكريس مصالحها أو الغياب والتبعثر الذي تعاني منه السيادة من خلال توزيعها بين عموم الناس، حيث الاختلاف في الميول والمصالح والرؤى والاتجاهات.

٥-العرف والقانون

في موضوعه العرف تبرز مسألة المكانة التي يحاول الأمير الحاكم ترسيم معالمها، فعلى الرغم من حالة العلاقة القائمة بين العرف والقانون، إلا أن حالة التفاعل الاجتماعي التي تقوم عليها الأعراف تجعل من مسألة ربطها وإخضاعها لآليات التغيير التي تجري على القوانين أمر في غاية العسر، لكن "بودان" يحاول تسهيل هذه العلاقة على اعتبار أن من يقدم على تغيير القوانين يمتلك القدرة على تغيير الأعراف وهذا بحساب حالة التميز في السلطة والسيادة التي يتميز مفارقاتها وعليه فإن السيادة التي ينشدها "بودان" تقوم على تكوين سلطة الأمير الحاكم[١٢].

٦-القانون والحق

---

[11]Jean Bodin, Method for the easy comprehension of history, Translated by Beatrice Reynolds, Octagon books, 1966, P392

[١٢]محمد أحمد علي مقني وآخرون: السيادة وثبات الأحكام في النظرية السياسية الإسلامية، مركز البحوث للدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٩١، ص٨٠

يرسم "بودان" صورة مباشرة للقانون من خلال تركيزه بيد السيد المطلق والذي تتمثل فيه ملامح السيطرة والتوجيه بوصفه أمرا يدل على قوة السيد فيما يوصف الحق باعتباره عدالة يمكن تفسيرها وفق رغبات هذه المجموعة أو تلك السيادة وعليه نجد في صورة القانون العام والذي يشمل مجمل العلاقات الرئيسية التي توجه مسار العلاقات في الدولة من خلال قرار الحرب والسلام وتعيين الضباط والقادة وكبار الموظفين في أجهزة الدولة، الإشراف العام على سن القوانين وحق العفو وربطه مباشرة بسلطة السيد، القوانين المتعلقة بإصدار النقود، تحديد الضرائب الحكومية[١٣].

٧-جون بودان ومدلول قوة الراعي لروح الحق

على الحاكم في الدولة البودانية أن يراهن على ثلاثة أمور وهي كالآتي:

١- السيادة التي تبنى على مبدأي الدوام والاطلاقية
٢- الإشراف المباشر للقوانين التي تتضمن حقوق وواجبات الرعية والقدرة على تغييرها
٣- ربط إرادة الله ومشيئته بإرادة الحاكم، وعلى صاحب السيادة أن يكون صلبا حتى يستطيع الحفاظ على الحقوق والقضاء على أعداد الحق[١٤].

٨-المواطن وجون بودان

حسب رأي "بودان" أن مفهوم المواطن لصيق بمفهوم السيادة ومتلازم معها وعلى أساس المنح أو التنازل عن السيادة ينجلي المواطن الحقيقي والمواطن الزائف، فالأول هو الذي يعي جيدا أنه مجرد جسم صغير وجزئي عليه أن يذوب داخل الجسم الكلي الذي يجسده جسد الملك وشساعة جسم الأخير وقوته تعود إلى كونه يحتوي جميع الأجساد ويتحكم في مصائرها بسنه القوانين الدولة[١٥]وقدرته على دوزنتها حسب السياقات والطوارئ فمقياس شجاعة وبسالة الملك مبنية على مدى صلابة السيادة ومتانتها فإن يسود معناه أن يجسد القوة المعطاة من طرف الرعية والهادفة إلى خدمة مصالحها في أوجها، إلا أنه عندما يتحدث "جون بودان" عن الصالح العام فإن ذلك لا يمت للمشاعة بصلة، لأن المساواة، المطلقة بحسب أرائه غير واردة في الطبيعة كذلك أن البشر وقواه متباينة من شخص لآخر.

---

[١٣] إسماعيل نوري الربيعي: في أصول السلطة والسيادة، بودان، هوبز، ستراوس، دفاتر السياسة والقانون، الجامعة الأهلية العدد العاشر، البحرين، ٢٠١٤، ص٢٢٥

[١٤] إسماعيل نوري الربيعي: مرجع نفسه، ص ٢٣٠

[١٥] أيمن أحمد الورداني: حق الشعب في استرداد السيادة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١٧٥

٩-تقييم فكر جون بودان

كان "جون بودان" رجلا هيابا يحاول أن يتلمس طريقة إلى الهدوء والاستقرار وسط طغيان الثورة والحرب حيث أصاب أعظم مؤلفاته عدوى زمانه، فكانت فلسفته لعالم مضطرب، معتل، متلهف على السلام والنظام والتي لا يمكن مقارنتها بالحكمة المعقولة والتي جاءت في مقالاته، ومع ذلك فإنه منذ عهد "أرسطو" لم يكن مفكرا باستثناء "ابن خلدون" في نشر فلسفة السياسة على مثل هذا النطاق الواسع أو دافع عن آرائه بمثل هذه القوة والعمق مثل "بودان" في اكتشاف بعض المنطق في أساليب الدول.